

سلسلة دبلوماسية مكافحة الأوبئة

الاجتماعات: شريان حياة الدبلوماسية

أغسطس 2020

توصيل الرسائل، وجمع الاستخبارات والمعلومات القيمة، وإيجاد الألفة وراحة التعامل مع الآخرين، وبناء علاقات طويلة الأمد، والدفاع عن أولويات السياسة الخارجية لدولة الإمارات. ولم يظل أي شيء على سابق عهده دون "الاجتماعات".

رغم تلك التحديات، استطاعت الدبلوماسية الإماراتية أن تنهض بسرعة وكفاءة لمواجهة هذا التحدي الجديد. فتحوّل دبلوماسيون بكل سلاسة من التواصل الشخصي المباشر إلى التفاعل عبر الوسائل الافتراضية، وغيروا مجال تركيزهم لينصب على موضوعات جديدة ومنها الدبلوماسية المعنية بالصحة. وقمنا أيضاً بتعديل أساليب وطرق عملنا؛ لضمان سلامة وأمن جميع العاملين في السفارة. وأعتقد أن السرعة التي تأقلمنا بها مع هذا "الوضع العادي الجديد" أثارت دهشة العديد من نظرائنا في أوروبا.

ومن وجهة نظري فإننا من غير المحتمل أن نعود بسرعة إلى الوضع الذي كان سائداً من قبل. ففي حين أننا ربما نقضي على فيروس الكورونا في الستة أو الاثني عشر شهراً المقبلة، فإن بعض التغييرات التي نتجت عن الأزمة وُجدت لتبقي؛ فليست كلها سيئة. ورغم أن ذلك لا يزال سابقاً لآوانه إلا أن "دبلوماسية الكورونا" كان لها بعض السمات المميزة.

فالاجتماعات عبر الوسائل الافتراضية لا تحتاج إلى نفس القدر من الوقت كالاجتماعات المباشرة وجهاً لوجه. وعندما أتحدث عن نفسي، فإن عدم الحاجة إلى التنقل للذهاب إلى مكان الاجتماع يوفر لي ما لا يقل عن 45 دقيقة في كل موعد. وقد يكون ذلك ميزة من حيث المبدأ؛ لأنه يتيح عقد اجتماعات أكثر في اليوم الواحد.

وبالمثل، فإن النظراء من الدبلوماسيين صارت جداولهم الزمنية أكثر مرونة في تلك الفترة. ففي بروكسل، المسؤولون يكون أمامهم دائماً ألف شيء وشيء لإنجازه. ومع انخفاض عدد الاجتماعات إبان هذا الوباء، فتحت المسؤولون الذين كانت هناك صعوبة بالغة في الوصول إليهم أقل انشغالاً عما قبل، مما أتاح لي الفرصة لتبادل الآراء بوتيرة أكثر مما مضى مع بعض نظرائي الرئيسيين.

النسق الافتراضي يتلاءم أيضاً مع الاجتماعات ذات الطبيعة الفنية، والتي يوجد منها الكثير في الاتحاد الأوروبي، في مجالات منها على سبيل المثال الشؤون المالية أو قضايا البيئة أو التأشيرات. وإجراء هذه الاجتماعات عبر تقنيات الفيديو له العديد من المزايا العملية واللوجستية.

سعادة محمد أبو شهاب

سفير دولة الإمارات العربية المتحدة لدى مملكة بلجيكا ودوقية لوكسمبورج الكبرى والاتحاد الأوروبي



في هذه النسخة من التأملات الدبلوماسية التي تصدرها أكاديمية الإمارات الدبلوماسية، يبين سعادة السفير محمد أبو شهاب أن أزمة الكوفيد-19 كشفت مزايا عقد الاجتماعات الدبلوماسية عبر الوسائل الافتراضية، غير أنها في الوقت نفسه عززت من مكانة الاجتماعات المباشرة وجهاً لوجه. ويرى أن إحدى النتائج المترتبة على الأزمة هي أن الدبلوماسيين قد يكونون في وضع أفضل يؤهلهم للاستفادة من التكامل بين كلا النوعين من الاجتماعات.

يسبب وباء الكوفيد-19 اضطرابات واسعة النطاق على مستوى العالم في العديد من المجالات، الكبير منها والصغير على حد سواء، وتمتد هذه التأثيرات من حركة التجارة الدولية إلى النقل الدولي ومن الطريقة التي نعيش بها في المجتمع إلى طريقة تنفيذ العمل. ولم تسلم مهنة من تأثيرات هذا الوباء، ومهنة الدبلوماسية ليست بالقطع استثناءً من ذلك.

فمن جانب فإن النطاق الدولي والطبيعة غير المتوقعة لوباء الكوفيد-19 معناه أن الدبلوماسية والدبلوماسيين لعبوا دوراً محورياً في جهود التعامل مع الأزمة. وشملت هذه الجهود تقديم المعلومات وإعادة المواطنين والمقيمين من الخارج وتنسيق التدابير مع الحلفاء والشركاء، وكذلك المساعي الدبلوماسية للمساعدات الإنسانية والصحية، والموائمة والتنسيق بين الخطوات المتخذة لإعادة تشغيل الأنشطة الاقتصادية بأمان. وكان على دبلوماسيي دولة الإمارات العربية المتحدة أن يتأقلموا بسرعة مع هذه التحديات الجديدة، جنباً إلى جنب مع شركائنا الدوليين.

ومن جانب آخر، فقدّ الدبلوماسيون الوسيلة الأساسية لبدء مهام عملهم وهي: الاجتماعات. فبدءاً من القمم الدولية إلى فعاليات الدبلوماسية العامة ومروراً بزيارات الوفود واللقاءات العابرة في حفلات الاستقبال، فإن الاجتماعات هي شريان الحياة في المجال الدبلوماسي. فالاجتماعات تتيح للدبلوماسيين

ومع ذلك فإذا كانت أزمة الكورونا أظهرت لي شيئاً ما، فهذا الشيء هو قيمة الدبلوماسية التقليدية. فلا شيء يضاهاه اجتماعاً مباشراً وجهاً لوجه في بناء العلاقات أو الحصول على المعلومات أو توصيل الرسائل. الدبلوماسية عبر الوسائل الافتراضية تتيح لنا تنفيذ مهامنا في هذه الظروف الاستثنائية، غير أنها تحجب عنا نصف الصورة، فما نراه هو الشاشة الموجودة أمامنا، وليس العالم المعقد المحيط بها.

وفي رأيي أدى ذلك إلى بعض المساوئ في مهنة الدبلوماسية.

«الاجتماعات تتيح للدبلوماسيين توصيل الرسائل، وجمع الاستخبارات والمعلومات القيمة، وإيجاد الألفة وراحة التعامل مع الآخرين، وبناء علاقات طويلة الأمد، والدفاع عن أولويات السياسة الخارجية لدولة الإمارات. ولم يظل أي شيء على سابق عهده دون "الاجتماعات".»

أولاً - اللقاءات عبر الوسائل الافتراضية تفتقر في بعض الأحيان إلى الطبيعة التلقائية والجو العام الذي يحيط بالاجتماعات المباشرة. فقبل أزمة الكوفيد، كانت الاجتماعات تتيح دوماً المجال للحصول على معلومات إضافية، والعثور مصادفة على معلومات أخرى، وبناء الألفة ليس مع المسؤولين وحسب وإنما أيضاً مع الموظفين المساعدين لهم، وإثارة موضوعات جانبية ببطء حتى في أشد المناسبات تقيداً بالطابع الرسمي. ولكن غياب القدرة على النظر في عين الشخص أو استخدام لغة الجسد المعبرة للتشديد على أهمية نقطة ما يؤثر على فعالية التفاعل الشخصي، وبذلك يضعف من التأثير الطبيعي للدبلوماسية.

ثانياً - القيود على التفاعلات الاجتماعية تزيد أيضاً من الصعوبة التي نواجهها في التحدث مباشرة مع نطاق أوسع من الجمهور وفي تجديد العلاقات مع شركائنا المحليين. فالفعاليات المماثلة لحفلات الاستقبال التي تدور حول موضوع معين والفعاليات الثقافية هي فرص لإظهار الروح والشخصية التي تتميز بها دولة الإمارات لجمهور أوسع ولتجديد العلاقات وإقامة أواصر جديدة. الفعاليات الافتراضية هي إضافة مثيرة للاهتمام لما تتيحه من التواصل مع فئات مختلفة من الجمهور وعدم التقييد بمكان الوجود الفعلي للشخص. غير أنها ليست بديلاً للاجتماعات المباشرة.

ثالثاً - عدم القدرة على حضور الفعاليات الرسمية شخصياً يعني أيضاً فقدان الكثير من جوانب فهم السياق العام والإلمام به. فعلي سبيل المثال في وظيفتي كسفير للاتحاد الأوروبي، وجدت أنني أستخلص بعض الفائدة من حضور الجلسات الرئيسية للبرلمان الأوروبي من متابعة طبيعة التعامل بين المتحدثين، وملاحظة تفاصيل لغة الجسد، وقرأة الجو العام في القاعة. أما اجتماعات الفيديو المفتقرة للطابع الشخصي فلا تتيح المجال لإدراك تلك الفروق الدقيقة والإلمام بالسياق العام.

رابعاً - الظروف الراهنة تحدّ أيضاً من قدرتنا على التعارف وإقامة العلاقات. الآن، الدبلوماسيون في السفارة وكذلك أنا نعقد العديد من الاجتماعات الافتراضية، ونرسل رسائل البريد الإلكتروني ومحادثات الواتس آب، ونجري مكالمات هاتفية مع نظرائنا وشركائنا، بيد أن كل ذلك يتم في الغالب مع أشخاص نعرفهم فعلاً، والتقينا بهم من قبل، وبنينا علاقات معهم. ومن الأسير، على أساس هذه العلاقة، التواصل مع هؤلاء الأشخاص وأن نطلب منهم على سبيل المثال الموافقة على إجراء مكالمة بالفيديو. وفي حين أننا نتفاعل أيضاً مع مسؤولين لم نلتق بهم من قبل، إلا أن هذه اللقاءات أكثر ندرّة وأقل احتمالاً في إتاحة الفرصة لنا لبناء العلاقات أو توسيع دائرة المعارف.

أخيراً - أجد أن اللقاءات الافتراضية تميل إلى التقييد بالطابع الرسمي والنص المحدد بدرجة أكثر من غيرها. فالجميع يدرك أنه ليس كل شيء يقال على الوسائل الافتراضية سيظل على تلك الوسائل الافتراضية. وهذا يزيد من صعوبة معرفة "القصة الحقيقية" وراء نقاط التحدث أو المعلومات التفضيلية التي يفصح عنها المتحدثون براحة عند التحدث معهم في سياق خاص، وأمن وغير رسمي.

في الدبلوماسية، الألفة تُؤدّ الراحة. وبناء هذه الراحة عبر الوسائل الافتراضية ومن مسافة بعيدة أكثر صعوبة. ويصدق هذا القول تماماً في حال عدم المعرفة المسبقة بالجو العام والوضع على أرض الواقع. وبذلك أصبحت مهمة الدبلوماسيين أكثر صعوبة؛ ومنها مهمتي. وكذلك فإن عدم وجود نصف فريق عملي على أرض الواقع من العراقيين الأخرى التي سببتها الأزمة، وخصوصاً مع بدء العودة إلى الوضع المعتاد.

إن وجود الدبلوماسيين معاً كفريق عمل في السفارة هو بيئة فريدة لمعايشة التجارب المشتركة، ومواجهة التحديات المشتركة، واقتناص الفرص المشتركة. وهذا يتيح لنا معرفة أكبر بنطاق الاختصاص الذي تم اعتمادنا فيه. ولكن الجانب الأكثر أهمية هو أن هذه التجارب والمعرفة الأفضل بالوضع على الأرض تساعدنا لتمثيل دولة الإمارات والدفاع عن مصالحها على نحو أفضل.

«من غير المحتمل أن نعود بسرعة إلى الوضع الذي كان سائداً من قبل. ففي حين أننا ربما نقضي على فيروس الكورونا في الستة أو الاثني عشر شهراً المقبلة، فإن بعض التغييرات التي نتجت عن الأزمة وُجِدَت لتبقى؛ فليست كلها سيئة.»

لا جدال في أن ممارسة الدبلوماسية في ظل فيروس الكوفيد-19 تشهد تغيراً. وبعض هذه التغييرات مفيدة وستعزز وتثري الطريقة التي نمارس بها الدبلوماسية، غير أننا ينبغي أيضاً أن ننظر بعين الاعتبار إلى قيمة التفاعلات الدبلوماسية بشكلها التقليدي. ومن وجهة نظري، تبرز الأزمة الراهنة أهمية التكامل بين الدبلوماسية بشكلها التقليدي على أرض الواقع والدبلوماسية الافتراضية. وامتلاك القدرة على إجادة استخدام كلا النوعين سيكون له دور حيوي في النجاح في المجال الدبلوماسي في المستقبل.